نزيف جرح

أن تكون إنسانًا يعني أن تحترم الآخر وتغدق عليه بفيض عشقك وتحضنه بروعة دعمك فكلنا سواسية ولا تميزنا إلا إنسانيتنا.

ريمٌ فتاةٌ في العاشرة من عمرها بيضاء شقراء ، في ملامحها رقة الطفولة وفي عينيها لون السماء ،حاذقة فطنة ولها مكانة الملكة في قلب والديها وأحبتها .

خاوى ريم "التّلعثم" منذ نعومة أظفارها بعد تعرضها لحادث مروع كاد أن يودي بحياتها لولا العناية الإلهية .

اضطر والداها الانتقال إلى المدينة لمتابعة وضعها ، لكنها بقيت شغوف بالعلم والمعرفة، وكثيرًا ما كان والدها يسترق النظر فيلمحها تطالع قصصًا لإملي نصر الله وروايات لأغاثا كرسيتي وكتبًا لجبران خليل جبران وابن سينا وسواهم فيتوسم بها خيرًا قائلاً في نفسه: " لن أترك فرصة لجعل ابنتي طبيبة تخدم بلدها . وكانت أفكاره تأخذه إلى دنيا الحلم حيث يرى ابنته تطبب الناس وقد ارتفعت بهم بعيدًا عن دنيا الوجع .

يومًا لمحها والدها وقد كست وجهها أمارات الشّجن، وعلت ثغرها مسحة ألم وتأسف، فدنا منها، وضمّها إلى صدره كما تضم الأم رضيعها ، هامساً في أذنها همس الربيع للطبيعة :" ما بكِ يا نبض القلب ؟" فأجابته :" رفاقي يسخرون مني يا أبي ولا يشاركوني اللّعب ، لقد جرحت حروفهم قلبي ، وكسرت خاطري. وأيتمت عزيمتي ونقلتني إلى حضيض الحزن ودياجي الكآبة ما ذنبي أنّي أتلعثم؟! هل أنا أقل مكانة منهم ؟" ثم خاطبت نفسها : " أنا أعلم أن الانسان يقيّم بعقله لا بما يقول . يقيّم بروحه بحبه بعونه ببسمته . ما بال الناس تعشق المظاهر وتنظر بازدراء لذوي الصعوبات اللفظية ؟! هذا اختبار الله ونعمة لروحي فلِمَا لا يفقهون ؟! أشعر كما لو أن كلماتهم سياط تجلد روحي "

وقف الوالد مشدوهًا يتصبب عرقًا يجتاحه سيل من الأفكار وتتجاذبه الذكريات متصورًا المواقف التي تتعرض لها ابنته ، مستذكرًا ما تعرض له يومًا، ثم لفظ كلماته بحنان" اسمعي يا ابنتي هذا اختبار الله يدفعه لخاصة أحبته . عليكِ أن تزداني بالثقة وتشيحي وجهك عن دياجي الحزن وعن ظلمات الكلمات الفارغة ،عليكِ أن تحلمي بالغد وتعرفي أن الازمات مؤقته ،وأننا نحن من علينا أن نخرج أنفسنا منها فما يفعله هؤلاء يناقض الانسانية وسيدركون عظم ما فعلوه يومًا ،لكن حتى يحين ذلك الوقت ثقي بنفسكِ وتقدمي "، ثم تابع قائلاً:" يا بهجة قلبي ، كلّنا نمرّ بمواقف لكن علينا أن نتحلّى بالصبر والجلد والإيمان لمواجهة الصّعاب . اسمعي يا صغيرتي :"كثيرٌ من العلماء و الأدباء عانوا من مشاكل عديدة ولمعوا في سماء العلم وحفرت أسماؤهم في الأذهان.

نظر الوالد إلى البعيد وأخذ يقص على مسامع ابنته قصة العالم لويس كارول الكاتب العالمي الذي أصيب بالتأتأة لكنه تجاوزها وأبدع قصصًا ومغامرات ومنها: " أليس في بلاد العجائب "

لمع بريق في عيني ريم وتورد خدها ثم رفعت رأسها بشموخ وطبعت قبلة على خده ،قائلة بعزم : " إلى الأمام نعم للأحلام .دمت لي يا كلّ النّعم. أعدك يا أبي أني لن أدع الرّياح العاتية تهزّ من قدراتي ".

مرَّت السنوات حاملة معها دعم الأهل والأحبة ،فأصبحت ريم طبيبة نطق لها عيادتها الخاصة التي تنشر الشفاء على القلوب المكلومة من التنمر ومن كل وجع.